مجلة المعارف للبحوث و الدراسات التاريخية
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/111
ISSN: 2437-0584/ EISSN: 2437-0584
المجلد التاسع ،العدد الرابع ،ديسمبر ،2024 ص - ص:278-301

# دور فرسان مالطة وفرسان القديس ستيفان في القرصنة المتوسطية خلال العصر الحديث

# The role of cavalry of Malta and the cavalry of Saint Stephen in Mediterranean maritime piracy during the modern era

**مُحَمَّد شرعي بن معيزة(*)**
جامعة حمة لخضر الوادي، (الجزائر)،
mohamedcharai66@gmail.com

**صالح بوسليم**
جامعة غرداية، (الجزائر)،
salahboussalim@yahoo.fr

**تاريخ الاستلام:** 2024/04/ 25 **تاريخ القبول:** 2024/05/ 28 **تاريخ النشر:** 2024/12/ 23

الملخص: يتناول هذه المقال بالدراسة دور تنظيمات الفرسان في نشاط القرصنة البحرية في البحر الأبيض المتوسط خلال العصر الحديث، حيث برز في هذه الفترة تنظمان هامان،كان لهما حضور نشط في هذا المجال، ويتعلق الأمر بتنظيم فرسان مالطة، وتنظيم فرسان القديس ستيفان. وقد ارتبط ظهور هذين التنظيمين في بداية الأمر بالصراع العسكري خلال القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، بين القوى الإسلامية وفي مقدمتها الدول العثمانية وإيالاتها بشرق المتوسط وغربه من ناحية، والقوى المسيحية بزعامة الإمبراطورية الإسبانية وحلفائها، خاصة من تنظيمات الفارسية، والنيابات السياسية بشبه الجزيرة الإيطالية...الخ، من ناحية أخرى. وإذا كانت هذه التنظيمات قد مثلت ذراعا عسكريا ضمن التحالف العسكري المسيحي خلال هذا القرن، فإنها لعبت بعد ذلك، خاصة خلال القرن السابع عشر الميلادي/الحادي عشر الهجري، دورا وظيفيا نيابة عن قوى التحالف، من خلال القيام بعمليات قرصنة بحرية ضد البحرية ، والسواحل الإسلامية. وقد كان لهذه العمليات تداعيات على بحرية وسواحل الحواضر الإسلامية بالبحر المتوسط، من خلال تهديد أمن الرعايا المسلمين، خاصة من التجار والحجاج، والاستيلاء على مختلف ممتلكاتهم المادية والمالية، مما فتح باب الصراع البحري بالمتوسط.

الكلمات الدالة: تنظيمات الفرسان، القرصنة، الغنائم البحرية، الأسرى

Abstract: This article examines the role of cavalry organizations in maritime piracy activity in the Mediterranean during the modern era, as two important organizations emerged during this period and had an active presence in this field. These are related to the organization of the Knights of Malta and the organization of Saint Stephen. The emergence

* المؤلف المرسل.

of these two organizations was initially linked to the military conflict during the tenth century AH/ sixteenth century AD, between the Islamic powers, led by the Ottoman states and their provinces in the eastern and western Mediterranean on the one hand, and the Christian forces led by the Spanish Empire and its allies, especially the Persian organizations and the political procuratorates in the Italian peninsula. ...etc., on the other hand. If these organizations represented a military arm within the Christian military alliance during this century, they later played, especially during the seventeenth century AD/eleventh century AH, a functional role on behalf of the coalition forces, by carrying out maritime piracy operations against the navy and Islamic coasts.

These operations had repercussions on the navy and coasts of Islamic cities in the Mediterranean, by threatening the security of Muslim nationals, especially merchants and pilgrims, and seizing their various material and financial properties, which opened the door to maritime conflict in the Mediterranean.

Keywords: maritime piracy, cavalry organizations, naval spoils, prisoners

## 1. مقدمة:

شهد البحر المتوسط خلال الفترة الحديثة تحولات سياسية وعسكرية، رسمت ملامح ومعالم العلاقات الدولية بين العالمين الإسلامي والمسيحي، خاصة بعد بروز الدولة العثمانية شرق المتوسط، والإمبراطورية الإسبانية في الناحية الغربية منه. إن سعي هذين القوتين مد نفوذهما إلى المناطق الحيوية التي تتحكم في منافذ الملاحة البحرية عبر المتوسط، خلق صراعا وصداما عسكريا وبحريا بينهما، مما دفع كل طرف منهما للسعي لإيجاد قوى وأدرعا موالية ومساندة، في إطار تحالفات دينية، سياسية، وعسكرية. في خضم هذه الصراع المتعدد الأوجه، برز دور تنظيمي فرسان مالطة وفرسان القديس ستيفان كقوتين وظيفيتين وجزء من التحالف المسيحي، كان لهما حضور ومساهمة فعالة في العديد من محطات الصراع العسكري خاصة خلال القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي. لم يقتصر هذا الصراع على المواجهات العسكرية الخالصة، بل اتخذ أنماطا متجددة ومتنوعة، ومنها القرصنة البحرية التي مثلت لغة العصر، خاصة خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين/ السابع عشر والثامن عشر الميلاديين. فماهي إذن أبرز الخلفيات والأبعاد التي تحكمت في صيرورة واستمرارية مساهمة هذين التنظيمين

في القرصنة البحرية المتوسطية؟ **و** إلى أي مدى كانت مساهمتهما مؤثرة في الملاحة البحرية المتوسطية عموما، والملاحة الإسلامية خصوصا؟

سنحاول من خلال هذه الورقة البحثية الإجابة عن جوهر الإشكالية المطروحة، المتضمنة إبراز معالم وحثيات حضور هذين التنظيمين في القرصنة البحرية المتوسطية خلال العصر الحديث، مع الوقوف على تداعيات وانعكاسات هذا الحضور على الملاحة البحرية المتوسطية عموما، والملاحة الإسلامية خصوصا، متبعين في ذلك المنهج التاريخي، من خلال سرد وتحليل أهم الوقائع المتعلقة بهذه الأحداث البحرية. ومن أجل الإحاطة بكل جوانب هذا الموضوع، وتفكيك حيثيات إشكاليته وضعنا خطة مشكلة من العناصر الأساسية التالية:

- الإطار المفاهيمي القرصنة البحرية وتنظيمات الفرسان.
- خلفيات وأبعاد مساهمة تنظيم فرسان مالطة وفرسان القديس ستيفان في القرصنة البحرية المتوسطية.
- ملامح ووقائع من مساهمات هذين التنظيمين في نشاط القرصنة خلال الفترة الحديثة.

## 2.الإطار المفاهيمي للقرصنة البحرية وتنظيمات الفرسان

### 1.2 . القرصنة البحرية وجدلية المفاهيم:

لقد أثار مصطلح القرصنة البحرية جدلا كبيرا بين الباحثين، حيث تعددت وتشعبت المفاهيم الدلالية لهذا المصطلح. فمفهوم القرصنة من الناحية اللغوية أعيد في معظم الأحيان إلى مصدره الاشتقاقي، حيث ذكرت العديد من المعاجم والقواميس أن هذه الكلمة مشتقة من مصدر وفعل قرصن، فنقول قرصن فلان؛ أي قام بأعمال نهب وسلب، أو حول اتجاه سفينة لسلب حمولتها لتحقيق غرض مادي أو سياسي، ويعرف ممتهن القرصنة بالقرصان[1].وإذا كانت القواميس المعاصرة ضمت بين طياتها إشارات مقتضبة لهذا المصطلح، فإننا نرى غياب ذلك في المعاجم القديمة، ومرد ذلك حسب رأي العديد من الباحثين، أن كلمة قرصنة هي كلمة دخيلة عن لغتنا العربية، فقد أحالنا الراهب بيار دان (Pierre Dan)[2] على دلالتين اشتقاقيتين لهذه

الكلمة، أولاهما أن الممارس لهذا النشاط البحري يعرف بالقرصان(Corsaire) والذي اشتق اسمه من كلمة كورس (Corse)؛ وهو لقب الشعب المستقر بجزيرة كورسيكا(Corsica) وثانيهما أن لفظ القرصنة مشتق من الفعل اللاتيني (Currere)، والذي يقابله في اللغة الفرنسية فعل(Courir)، والذي يعني التعقب والمطاردة. وهذا التفسير حسب دان هو الأقرب للمعنى الاشتقاقي للكلمة[3]. وتوافقا مع الرأي سالف الذكر، تبنى بعض الباحثين فكرة أن القرصنة كلمة أعجمية لم يرد ذكرها في المعاجم العربية القديمة، وقد استقاها العرب خاصة سكان بلاد المغرب من الكلمة الإيطالية كورسا (Corsa)،أو كورسار(Corsare)، والتي تعني الجري، وفي ذلك إشارة لسرعة تعقب القراصنة للسفن في عرض البحار[4]. إن استعمال القراصنة للسفن في أغلب نشاطهم البحري دفع عددا من الكتاب إلى الاعتقاد أن هذه الكلمة تعود في أصلها إلى اللغة اللاتينية، حيث اشتقت من لفظة كرسارو (Carsaro)؛ والتي تعني كل سفينة مسلحة فوض لملاحيها شق عباب البحار ومقارعة سفن الأعداء. ويعزو بعض اللغويين أن مصطلح قرصنة نتاج تعريب لكلمة كرسيرس(cursurius) والتي تعني في اللاتينية المتأخرة القيام بهجوم بحري بنية النهب، وقد كانت هذه الكلمة في بداية التعريب تكتب قرصار، ثم بمرور الوقت تحولت الراء الأخيرة نونا لتصير قرصان واشتقت منها كلمة قرصنة، وهي بذلك فهي كلمة معربة عن لغات متعددة، ومن ذلك ما ذهب إليه بعض الباحثين بعزوها إلى الكلمة الإيطالية كورصال(corsal) ، والتي تعني قاطع الطريق، والعرب حرفوا الكاف إلى القاف، واللام إلى النون [5].

إذا كان المفهوم اللغوي للقرصنة متشعب ومتعدد الأوجه، فإن المفهوم الاصطلاحي لا يقل عنه جدلا وتنوعا، حيث أن التوصيف العام لها حسب رأي بعض الباحثين أنها نشاط يرتبط بالاعتداء والسطو على السفن البحرية، قصد الاستيلاء على محتوياتها، وسلب ممتلكات ركابها ويكون ذلك عادة في الأماكن التي لا تخضع لسيادة أي دولة. يلاحظ أن هذا التوصيف يقترب بدلالته من البعد اللغوي لمصطلح القرصنة رغم أنه ربط ذلك بطبيعة مرجعية وخلفية منطلقات هذا النشاط البحري. ويتضح مما سبق أن هؤلاء الباحثين والكتاب قد استوقفهم

الإطار العام للقرصنة، حيث رأوا أن القرصنة كنشاط بحري لا تتم في إطارها القانوني إلا ضمن ترخيص من الدولة الراعية لها، وبذلك فإن القراصنة ينشطون وفق النظام العام المنظم للنشاط البحري للدول والكيانات السياسية. إن التعريف سالف الذكر حمل في طياته محاولة المزاوجة والتوفيق بين سلبية المعطى اللغوي للقرصنة ومحاولات شرعنة هذا النشاط البحري في حال انضباطه بقوانين القوى والكيانات السياسية المنظمة له، باعتباره آلية من آليات الدفاع عن حقوق ومصالح هذه القوى[6]. إن هذه الجدلية المركبة من المعطى اللغوي والمعطى الاصطلاحي أفرزت توصيفات متعددة ومتضاربة للقرصنة، حيث لم يبق هذا المصطلح كلمة مجردة ذات دلالة واضحة المعالم. فعندما نعرج على الكتابات الغربية نجدها تسعى للتفريق بين البعد السلبي والبعد الإيجابي للكلمة، فبالنسبة للمنحى السلبي للقرصنة تم استعمال عدد من المفردات التي هي في جوهرها ترجمة فعلية للمعطى اللغوي للكلمة، وهنا يمكن إيراد جملة من المصطلحات القديمة والحديثة المفسرة لمعناها. إن من بين أشهر المفردات التي استعملت قديما عبارة سارسان (sarrazins)، وهي كلمة مشتقة من اللاتينية سارسيني (saraceni)، والتي تعني السرقة واللصوصية[7]. تعتبر كلمة بيرات (pirate) المأخوذة من الكلمة اللاتينية بيراتا (pirata)، ومن الكلمة الإغريقية بيراتس (peiratês)، والتي تعني يحاول، هي أشهر كلمة كثر استخدامها في الفترة الحديثة للتدليل على محاولة أحد المغامرين السطو على السفن في عرض البحار وسلب محتوياتها[8].

إن تطبيق القواعد الأولية لتفسير الحدث التاريخي، من خلال ربطه بالإطار الزماني يجبرنا على استحضار مجريات الأحداث خلال العصر الحديث انطلاقا من القرن العاشر الهجري/ السادس عشر ميلادي، مما يحيلنا على حقيقة مفادها أن المفاهيم ارتبطت بالنظرة العدائية للغريم أكثر منها الوقوف على حقيقة الأشياء بتجرد وحياد. إنها طبيعة العصر المتسمة بالصراع والعدائية، مما أضفى على الحياد والتجرد صفة اللامسؤولية في إبداء موقف صارم حيال مخططات الغرماء وهجماتهم الشرسة ، وقد ارتبط كل ذلك فيما يصطلح عليه في عصرنا بحرب الدعاية والدعاية المضادة. وفي خضم هذه الإيماءات الإيحائية نجد ذلك التوصيف الذي وسم به

نشاط بحرية الإيالات المغاربية من لدن القوى المسيحية، حيث اصطلح على تسميتها بالقرصنة البربرسكية والتي اتسم في نظرهم جوهر نشاطها بالنهب واللصوصية، بينما كانت شعارات المجد والتقديس وسام شرف منح للبحرية المسيحية ومنها بحرية فرسان مالطة وفرسان القديس ستيفان اللذين وصف نشاطهما بالحرب المقدسة .وإذ كانت أغلب القوى المسيحية ومختلف الكتابات الغربية لم تحد عن لأفكار قريبة العهد بالفترة الحديثة، والتي وسمت كل نشاط عسكري قام به المسلمون في البر أو البحر باللصوصية، فإن المسلمين على مختلف عهودهم تمسكوا بقدسية نشاطهم العسكري والذي اصطلحوا على تسميته بالجهاد، وخص نشاط سفنهم في عرض البحار بالجهاد أو الغزو البحري، حيث كان شقهم لعباب مياه البحار التزاما وتنفيذا لتوجيهات ووصايا الدين الحنيف بخوض غمار مياه البحر لإيصال تعاليم الإسلام إلى شتى بقاع المعمورة، ومجابهة عدوان القوى المناهضة لتعاليم الدين والمتربصة بحياض ديار الإسلام[9].

## 2.2 البعد المفاهيمي لتنظيمات الفرسان

يطرح مصطلح تنظيمات الفرسان إشكالية مفاهيمية لدى الباحثين، نظرا لاختلاف الإطار الزماني لظهورها، فضلا عن المهام التي اضطلعت بها عبر تاريخها. إن أقرب المفاهيم الدلاليـــة لهذه التنظيمات، أنها تلك الهيئات العسكرية الرهبانية، فهي تشكيلات من الفرسان، جمعـــت بين النشاط الديري والعمل الخيري التطوعي في بداية عهدها، والمهام العسكرية بعد ذلك. ظهرت العديد من هذه التنظيمات في بداية الأمر على شكل جمعيات دينية كاثوليكية، اضطلعت بعدة مهام كحماية قوافل الحجاج المسيحيين المتجهين إلى مزاراتهم وأماكنهم المقدسة ببلاد الشـــام، كبيت المقدس وكنيسة القيامة[10]. كما قامت بالعديد من الأعمال الخيرية التطوعية حيال هؤلاء الحجاج والمعدومين، كتقديم الطعام، والايواء، والخدمات الاستشفائية، ومع اندلاع الحروب الصليبية في المشرق(1096-1291م)، وفي مناطق أخرى بغرب المتوسط كالأندلس، تحولت هذه التنظيمات إلى المهام العسكرية، من خلال الانضمام إلى الجحافل العسكرية المسيحية، التي اندفعت نحو بلاد الشام تحت ذريعة تخليص المقدسات المسيحية من سيطرة المسلمين، وحماية الحجاج من الإساءات والمضايقات التي يتعرضون لها من لدن المسلمين

حسب زعمهم[11]. كما دعمت تنظيمات أخرى المخططات الانتقامية الإحلالية التي تزعمها الملوك الإسبان ضد مسلمي الأندلس ومساندیهم من سكان بلاد المغرب ، فيما اصطلح على تسميته بحروب الاسترداد[12].

إن من أوائل وأشهر تنظيمات الفرسان التي ظهرت في بلاد المشرق، تنظيمي الإسبتارية ، وفرسان الهيكل، فبالنسبة للتنظيم الأول الذي هو محور هذه الورقة البحثية، فقد ارتبط ظهوره بالنشاط الطبي الاستشفائي الذي استمد منه اسمه، وكانت بدايته على شكل جمعية خيرية اضطلعت بمهمة الإشراف على مستشفى بالقرب من بيت المقدس. وقد تأسست هذا التنظيم في سبعينيات القرن الحادي عشر الميلادي، وعرف خلال هذه الفترة بتسميات كثيرة، أشهرها فرسان القديس يوحنا . أما التنظيم الثاني فقد ظهر عقب الحملة الصليبية الأولى، وكانت بدية ظهوره على يد مجموعة من الفرسان الفرنسيين بقيادة هيوجز دي بانز ( Hugues de Payns)، وزميله غودفري دي سانت أومر(Godefroy de Saint Omer) في إقليم شامبانيا بشمال شرق فرنسا. فعقب وصول هؤلاء الفرسان إلى الأراضي المقدسة سنة 1118م. نال هؤلاء تصريحا من حاكم بيت المقدس الملك بلدوين الثاني (Bauldouin II )[13] ومباركة من البطريرك جاريموند (Guarimond)، وذلك من أجل إنشاء منظمة تجمع بين مهمة حماية الحجاج المسيحيين، والقيام بالمهام العسكرية ضد المسلمين، وقد عرفت هذه المنظمة بعدة أسماء، منها فرسان المعبد، وفرسان الداوية، والجنود الفقراء للمسيح والهيكل. وفي سنة 1128م حصل التنظيم على اعتراف بابوي رسمي بوجوده كهيئة كنسية، وذلك عقب المجمع الكنسي بتروا الفرنسية[14]. .ورغم أن الأعضاء المنتمون لهذه الهيئة ملزمون بالتزام العفة وحياة التقشف، إلا أنه وبمرور الوقت وبفضل الأملاك الكثيرة التي حصلوا عليها في القدس، ومناطق كثيرة في أنحاء أوربا، أصبح هذا التنظيم تنظيما ثريا بمؤسساته الاقتصادية والمالية كالبنوك، الأمر الذي أغر عدة شخصيات نافذة للتقرب من هذا التنظيم، حيث قام الملك الفرنسي فيلب الثاني بالاستدانة منه للتخفيف من الأزمة المالية التي أثقلت كاهل الفرنسيين. من أجل التخلص من تبعات هذه الديون. قرر هذا الملك التخلص من فرق تنظيم فرسان الهيكل بفرنسا، فأختلق لهم

تهمة الهرطقة والانغماس في الشهوات، ودفع البابا لإصدار مرسوم حل هذه التنظيم بتاريخ 22 مارس1312م.وكان من نتائج هذه الإجراءات الحكم بالحرق على عدد من هؤلاء الفرسان ، حيث تم حرق قائد التنظيم ونائبه سنة 1314م[15].

لم تقتصر فترة العصر الوسيط على هذين التنظيمين، بل برزت تنظيمات أخرى فاعلة، منها تنظيم فرسان التيوتون، هذا التنظيم الذي كانت بدايته كسالفيه، حيث اضطلع في أول أمـــره بأمور التمريض من خلال المستشفى الألماني الذي أنشئ لتقديم الخدمات الطبية للحجاج المسيحين، ثم سرعان ما تحول فرسانه إلى المهام العسكرية في فترة الحروب الصليبية، وكانت انطلاقتهم خلال القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي. نشط هؤلاء في بلاد الشام، خاصة في عكا، ومملكة بيت المقدس، ثم نقلوا نشاطهم بعد ذلك إلى وسط وشرق أوربا، إلا أنهم فقدوا نفوذهم خلال القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، بعدما تغلب عليهم البولنديون واللتوانيون، واعتنق زعيمهم ألبرت هوهن تسولرن بعد ذلك البروتستانتية سنة 1525م، وحوَّل هذه الجماعة من منظمة دينية إلى منظمة مدنية[16].ولم يقتصر تواجد هذه التنظيمات في بداية عهدها على بلاد الشام، بل كان لها وجود في مناطق أخرى كالأندلس في إطار التجييش الكبير الذي اعتمدته الكنيسة لتشجيع تواجد هذه التنظيمات في شبه الجزيرة الأيبيرية، قصد المشاركة بعمليات تهجير وطرد المسلمين ، وإنشاء الممالك المسيحية هنا، ومن أبرز الأمثلة في هذا الشأن تواجد فرسان المعبد في مملكة أرغون واستعانة الملك ألفونسو الأول بهم في الحرب ضد مسلمي الأندلس[17].

## 3.خلفيات وأبعاد مساهمة تنظيم فرسان مالطة وفرسان القديس ستيفان في القرصنة البحرية المتوسطية

### 1.3.الخلفية التاريخية لنشأة تنظيم فرسان مالطة وفرسان القديس ستيفان:

لم يكن ظهور تنظيم فرسان مالطة وليد العصر الحديث تزامنا مع ازدهار نشاط القرصنة البحرية عبر ضفتي البحر المتوسط، بل إن هذا التنظيم برز إلى الوجود مع بداية تشكل الجمعيات المسيحية ذات الطابع الخيري المجتمعي الخدماتي. وقد كانت النواة الأولى لظهوره هذا

التنظيم سماح الدولة الفاطمية سنة 463هـ/1070م لجماعة من التجار من مدينة أمالفي الإيطالية بإنشاء جمعية خيرية، تدير مركزا استشفائيا بالقرب من كنيسة مسيحية بالقدس[18]. وقد كانت المهمة الأولى لهؤلاء العناية بالحجاج المرضى من زوار بيت المقدس وتقديم الرعاية الصحية لهم. وتماشيا مع التقاليد والأعراف المسيحية في ذلك العصر من اضطلاع الهيئات الكنسية بمهام الاستطباب في المنشآت والمراكز ذات الطابع الخيري التطوعي، فقد أشرفت هيئة من الرهبان برئاسة الراهب جيرار(Gérard) على هذا النشاط الاستشفائي الخدماتي. وتبعا لطبيعة نشاطهم أطلق على هذه الجماعة اسم فرسان المستشفى، أي الاسبتارية. وتبعا للامتيازات الكبيرة التي تمتعت بها فرق الفرسان الأخرى، من إقطاعات وحصون، سعى الاسبتارية للحصول على امتيازات مماثلة، وبذلك بدأ نوع من التحول في مسيرة هؤلاء الفرسان الذين أصبحوا يعرفون بفرسان القديس يوحنا[19] .

يمثل انطلاق الحروب الصليبية في المشرق تحولا كبيرا في مسيرة هذه الجماعة، بتحولها من المهام الاستشفائية الخدماتية، إلى المهام العسكرية، من خلال الانضمام إلى الجحافل المسيحية المتدفقة نحو بلاد الشام، وخاصة بيت المقدس. وبذلك أصبح هذا التنظيم جزء من المنظومة العسكرية الصليبية. كشر أعضاء هذا التنظيم عن أنيابهم، وما يخالج صدورهم من حقد دفين أتجاه المسلمين، فكانت لهم جولات دامية في ميادين المعارك، جنبا إلى جنب مع الجيوش المسيحية الغازية لديار المسلمين، في أنطاكية، والرها، وبيت المقدس[20]. وبرز دورهم العسكري خاصة في عهد ملك إمارة بيت المقدس فولك، الذي منحهم عدة حصون بمناطق بيت نوبة، وتل الصافية، وكان هدف هذا الملك الاستفادة من طاقاتهم العسكرية لحماية حدود مملكته من أي هجوم يأتي من مصر عبر حامية عسقلان المحاذية لهذه المملكة[21]. ونظرا لدورهم العدائي ضد المسلمين، فإن القائد والسلطان الأيوبي صلاح الدين أمر بقتل أعداد كبيرة من هؤلاء الفرسان، عقب انتصاره في معركة حطين سنة 1187م[22]. انسحبت فلولهم نحو مناطق أخرى كصور، وعكا، التي مثلت آخر معقل للصليبين سقط في يد المسلمين سنة 1291م. أدى سقوط عكا إلى خروج بقايا فرسان القديس يوحنا إلى مناطق أخرى بشرق المتوسط، ومنها

قبرص، ثم رودس، التي مثلت جزيرة الأحلام بالنسبة لهم، حيث أتخذوها مركزا لممارسة نشاط القرصنة والتحرش بالسفن الإسلامية، مما دفع السلطان العثماني سليمان القانوني لاتخاذ قرار محاصرة الجزيرة سنة 1522م، مما اضطرهم للاستسلام وطردهم منها بعد ذلك. اتجه الفرسان عقب مغادرتهم للجزيرة سنة 1523م إلى ميناء شيفيتافيكا بإيطاليا، ونزلوا في ضيافة البابا كليمنت السابع(Clément VII)، وبنوا كنيستهم في منطقة فيتربو قرب روما[23].

إن تطلعات فرسان هذا التنظيم وأحلامهم في حكم منطقة بحرية استراتيجية لا تختلف في خصائصها عن جزيرة رودس، دفعتهم لاستجداء البابا للتوسط لهم لدى الملك الإسباني شارل الخامس من أجل منحهم جزيرة مالطة وأحوازها، لتكون مقرا جديدا لهم. وافق الملك عن هذا الطلب ولكن اشترط عليهم إدارة طرابلس الغرب وحكمها باسمه وتحت نفوذه. بتسلم الفرسان كل من طرابلس ومالطة سنة 1530م، فتحت مرحلة جديدة من مسيرة هذا التنظيم الذي أصبح يعرف بتنظيم فرسان مالطة، ورسمت معالم علاقاته مع دول التحالف المسيحي في مواجهة الدولة العثمانية وإيالاتها في غرب المتوسط وشرقه خلال العصر الحديث، إلى غاية أفول نجمه عقب سيطرة نابليون بونابرت على هذه الجزيرة سنة 1798م[24].

إذا كانت مسيرة تنظيم فرسان مالطة موغلة في الحقبة الوسيطة من تاريخ العلاقات بين الشرق الإسلامي والغرب المسيحي، وممتدة في تجلياتها في فترة العصر الحديث، فإن تنظيم فرسان ستيفان الذي يعرف بنظام سانت اتيان، فقد انبثقت جذوره خلال ستينيات القرن السادس عشر الميلادي/العاشر الهجري، حيث قام كوزيمو دي ميديشي ( Cosme de Médicis) دوق فلورنسا(Florance)وسيينا(Sienne)، بإنشاء هذا التنظيم سنة 1562م بمباركة من البابا بيوس الرابع(Pie IV) المؤيد لآل ميديشي بتوسكانيا (Toscane). وقد أصدر البابا الأمر البابوي المؤسس والمنظم للتنظيم وفق تشريع بنديكت في 01 فيفري 1562م[25]. لقد تنوعت وتعددت ولاءات هذا التنظيم للقوى الفاعلة في مسرح الأحداث على الساحة الأوربية، ففي المجال الديني انحصرت تبعية الفرسان لممثل الكنيسة الكاثوليكية في الدوقية، حيث كان الحاكم الأكبر لها من عائلة ميديشي مفوض من طرف البابا لتمثيل

السلطة الدينية هناك. أما السلطة الزمانية التي حددت التبعية السياسية للتنظيم فكانت تبعا للقوى المتنفذة في المجال الحيوي بشبه الجزيرة الإيطالية، وإذا كان من البديهي أن يؤثر المجال الجغرافي لموقع الدوقية في توسكانيا في الولاء المباشر لآل ميديشي، فإن تمدد نفوذ آل هابسبورغ لورين(Habsbourg-Lorraine) والإمبراطورية الإسبانية إلى مناطق كثيرة في أوربا ومنها إيطاليا، دفع قادة التنظيم إلى إعلان ولائهم لهذه الأسرة وإلى الملك الإسباني بعد ذلك. كان المقر الأول للتنظيم في بورتوفيرايو(Portoferraio) بجزيرة إلبا(Elbe) بشمال إيطاليا، ثم في بيزا (Pise ) بعد ذلك. ويعتبر ميناء ليفورن أهم ميناء استخدمه الفرسان في نشاط القرصنة، حيث أصبح أحد المراكز الهامه في شمال المتوسط في منافسة موانئ تجارية أخرى كميناء مارسيليا بجنوب فرنسا [26].

## 2.3.أبعاد وأهداف مساهمة هذين التنظيمين في القرصنة البحرية المتوسطية

### 1.2.3. الأبعاد الدينية

تمثل المرجعية الدينية لهذين التنظيمين من الدوافع الأساسية التي حركت انخراطهما بكل قوة في نشاط القرصنة البحرية في البحر المتوسط. إن تبني الكنيسة الكاثوليكية لهذين التنظيمين، بإشرافها المباشر عن نشأتهما، جعلهما ممثلين مباشرين لهذه الكنيسة في مجال نفوذهما الجغرافي، فضلا عن التزامهما بتنفيذ المخططات الكنسية في مجالات حيوية هامة بكل الوسائل، ومنها القرصنة البحرية. لم يتوان قادة هذين التنظيمين من الإعلان والافتخار بأنهما يسعيان للدفاع عن المسيحيين والبحرية المسيحية ضد المخالفين للعقيدة، خاصة القوى الإسلامية عبر ضفتي البحر المتوسط، حيث كانت سواحل الحواضر الإسلامية عرضة لهجماتهما. كما أن سفن البحرية الإسلامية المدنية منها والتجارية كانت دوما عرضة لقراصنة هذين التنظيمين. إن شراسة هؤلاء القراصنة ودورهما الوظيفي في البحر المتوسط، أدى إلى بروز العديد من الشعارات الدينية الممجدة لنشاطهم، حيث اعتبرت البحرية المالطية مثلا زهرة البحرية المسيحية، ووصفت مالطة بكونها جدار وحد حامي وفاصل بين المسيحية وغرمائها. إن الصراع في البحر المتوسط، أوجد العديد من التحالفات، والتي نذكر منها التحالف المسيحي التي تزعمته إسبانيا والبابوية،

حيث لم تتأخر تنظيمات الفرسان من المشاركة فيها، من منطلق التضامن المسيحي ضد العثمانيين وإيالاتهم، مثلما ما حدث في معركة ليبانت سنة 1571م نصرة للبنادقة، حيث تداخلت الأغراض السياسية، والعسكرية مع أغراض القرصنة البحرية[27].

### 2.2.3. الأبعاد الاقتصادية

لا يختلف اثنان في الأهداف والغايات المتوخاة من لدن المحترفين لنشاط القرصنة البحرية في الفترة الحديثة، حيث تصدرت في كثير من الأحيان الأهداف المادية والاقتصادية لقراصنة تنظيم فرسان مالطة، وفرسان القديس ستيفان، بقية الغايات الأخرى. ويمكن حوصلت هذه الأهداف في ما يأتي:

***–السعي للحصول على الغنائم البحرية**

تنوعت هذه الغنائم بين الغنائم المادية والغنائم البشرية، حيث شملت الأولى كل السلع، والبضائع والأموال، والتجهيزات المختلفة، فضلا عن السفن الحاملة لها، والتي تمت مصادرتها، بينما شملت الثانية الأشخاص الذين تم أسرهم، وقد عرف هؤلاء بالأسرى أحيانا، نظرا لاحتمال افتدائهم،وعرف آخرون منهم بالعبيد الذين استخدموا في أعمال السخرة كالتجديف وخدمة الأرض. لقد أسهبت المصادر والمراجع المهتمة بتاريخ التنظيمين، في إعطاء نماذج لعمليات استيلاء هؤلاء الفرسان على العديد من الغنائم البحرية، وتم في بعض الأحيان تقديم تقديرات قيمية ومالية لها كمصدر مهم لخزينة التنظيمين. فبالرجوع إلى وثائق أرشيف المحكمة العسكرية بمالطة في الفترة 1660-1662، فقد دخل إلى مالطة بفضل هذه الأنشطة البحرية حوالي 20 سفينة، و620 أسير، ومبلغ قدر بحوالي 10000 بياستر، فضلا عن 2700 طن من البضائع المختلفة. وقد قدرت القيمة التسويقية لكل هذه الغنائم بحوالي 480000 إيكي[28].

وبحسب المرجعية التنظيمية لفرسان مالطة في المجال المالي والتي تعود إلى سنة 1605م، فإن كل سفينة تعود إلى الميناء عقب نشاط قرصنة بحرية تدفع إلى خزينة التنظيم العشر من قيمة محصلاتها البحرية، أي قيمة أسير من كل عشرة أسرى[29].

لقد حرص هؤلاء القراصنة على القيام بهجمات متوالية على سفن وسواحل البلاد الإسلامية، ومنها سواحل الإيالات المغاربية، حيث كان الهدف الأساسي إرهاب سكان السواحل والحصول على غنائم تدعم خزينة هؤلاء القراصنة، حيث قامت مثلا سفن القديس ستيفان سنة 1607بمهاجمة سواحل عنابة، حيث استولوا على غنيمة هامة فضلا عن مائتين من ساكنة المناطق الساحلية. وقد بالغت بعض المصادر في رفع عدد الأسرى إلى 1500 أسير[30]. ولم تكن ليفورن واحدة من أهم وأكبر الموانئ بشبه الجزيرة الإيطالية فحسب، بل كانت تمثل المركز الاقتصادي الأساسي للتنظيم، فهي سوق هام لتجارة الأسرى، إذ برزت فيها اثنان أو ثلاثة بيوتات متخصصة في هذه التجارة، لا يقل مدخول الواحدة منها عن 150000 إيكي[31].

***–العمل على إضعاف القدرات الاقتصادية للمسلمين بالبحر المتوسط**

تشترك معظم الدراسات المهتمة بتاريخ النشاط البحري في البحر المتوسط خلال الفترة الحديثة، خاصة ما تعلق بنشاط البحرية الإسلامية، في التركيز على نشاط سفن القرصنة البحرية، أو السفن ذات الاستخدام العسكري في الصراع البحرية.في حين يقل التطرق للمهام الاقتصادية، خاصة التجارية منها، وهنا يطرح التساؤل حول خلفية ضآلة المعلومات المتعلقة بهذا المجال. بمعنى آخر هل أن التركيز على نشاط الغزو البحري أو ما اصطلح عليه بالقرصنة البحرية طغى على الموارد الاقتصادية الخارجية على حساب النشاطات الأخرى ومنها النشاط التجاري، أم أن معطيات وأسباب أخرى قد تكون تنظيمات الفرسان طرف فيها، هي التي ساهمت في تراجع الحركية التجارية الإسلامية الخارجية؟

لقد عملت القوى المسيحية إلى إضعاف التجارة البحرية الإسلامية بالمتوسط في الفترة الحديثة، وسعت لاحتكار النشاط التجاري المتوسطي، من خلال إنشاء موانئ وأسواق تجاري، منها مارسيليا، ومالطة، وليفورن. وبذلك تحكمت هذه الموانئ وغيرها في المبادلات التجارية المتوسطية، في وقت عملت على تضيق الخناق على التجار المسلمين بأساليب وحيل كثيرة، منها اعتماد أسلوب الحجر الصحي ضد هؤلاء التجار، وإنشاء حلقة مغلقة من المبادلات

التجارية بين موانئ جنوب أوربا، حيث كان التجار المسلمون طرف هامشي فيها. وبذلك انتقل دور تنظيمات الفرسان من طرف في التحالفات العسكرية السابقة، إلى جزء من تحالف تجاري مصلحي، سعى للتضيق على أي نشاط تجاري بالمتوسط. وقد ركزت عدد من الدراسات على الدور الوظيفي لتنظيمي فرسان مالطة، والقديس ستيفان، في الحيلولة دون بروز بحرية تجارية إسلامية بالمتوسط. لم يتوقف فرسان هذين التنظيمين عن مطاردة السفن الإسلامية، سواء كانت سفن تجارية أو غيرها، حيث كانت سفن التنظيمين تتزايد في البحر المتوسط كلما لوحظ تزايد حركة ونشاط السفن الإسلامية فيه[32] .

إن هذا الصراع من أجل ضمان السيادة والسيطرة التجارية في البحر المتوسط أوجد نوعا من التحالف حتى بين غرماء الأمس، حيث أن الفرنسيين و في مقدمتهم المرسيليين عملوا على التنسيق مع تنظيمات الفرسان وفي مقدمتهم فرسان مالطة من أجل الانتقام من الإيالات المغاربية أثناء تهديد مصالح التجار المرسيليين في هذه الإيالات. كما أن نشاط القرصنة المالطية ضدها يضعف منافستها للحواضر الأوربية الساحلية، ويحول دون ساعيها لتقوية نفوذها التجاري في المتوسط. ومن أجل هذه الأهداف المشتركة بين الطرفين، أرسل وزير البحرية الفرنسي في 04جانفي1729م إلى قائد عام السفن المالطية بايلي دي فرولي ( Bailly de Froullay) رسالة تضمنت طلب تجهيز سفينتين، والاستعانة بسفن أمم آخر حليفة للبحرية المالطية للقيام بهجوم بحري ضد الطرابلسيين وبحريتهم . ومما تضمنته هذه الرسالة الإشارة إلى وجود ممثل للمرسيليين في مالطة، وممثل للمالطيين في فرساي بجنوب فرنسا. ومن هنا يمكن التساؤل حول حقيقة العلاقات والتحالفات التي ربطت الفرنسيين بالعثمانيين وإيالاتها ضد الأسبان وحلفائهم ومنهم تنظيمات الفرسان[33]!.؟

### 3.2.3.الأبعاد السياسية والعسكرية

مثلت القرصنة البحرية لتنظيمي فرسان مالطة وفرسان القديس ستيفان آلية من آليات الصراع السياسي والعسكري مع القوى الإسلامية في البحر المتوسط، حيث أن كثير من المواجهات العسكرية بين الطرفين تخللتها أعمال قرصنة قام بها هذين التنظيمين بغرض إضعاف هذه

القوى، أو من أجل تحقيق مآرب سياسية وعسكرية في إطار منفرد، أو ضمن تحالفات مع القوى المسيحية الأخرى. إن طرد العثمانيين لفرسان رودس –أو فرسان القديس يوحنا سابقا– من جزيرة رودس سنة 1522م، ثم من طرابلس الغرب سنة 1551م، مثلت صدمة لهؤلاء الفرسان، الأمر الذي دفعهم للسعي لاستعادة أمجادهم بمحاولة السيطرة على مناطق استراتيجية بالسواحل العثمانية وإيالاتها، والقيام بأعمال قرصنة انتقامية ضد غرمائهم. ومن أبرز العمليات التي يمكن إيرادها في هذا الشأن، أنه عقب معركة جربة سنة 1560م، والتي اندحرت فيها قوات التحالف المسيحي أمام البحرية العثمانية وإيالاتها بغرب المتوسط، توالت هجمات فرسان مالطة على سواحل هذه الإيالات. ففي سنة1561م،قام هؤلاء الفرسان بعمليات نهب بمنطقة قصر أحمد بمصراته، والواقعة في الناحية الشرقية من طرابلس الغرب[34]. ونظرا لعمليات القرصنة المزايدة من طرف هذا التنظيم قرر العثمانيون محاصرة جزيرة مالطة والسيطرة عليها سنة 1565م، إلى أن هذه الحملة العسكرية باءت بالفشل. وبحلول القرن الحادي عشر الهجري ازدادت هجمات الفرسان على السفن الإسلامية بشرق المتوسط، ففي سبتمبر 1644م، قام فرسان مالطة بمهاجمة قافلة بحرية عثمانية عائدة من البقاع المقدسة، كانت متجهة من الإسكندرية إلى إسطنبول عبر رودس أين تمت مهاجمتها، وعقب استراحة هؤلاء القراصنة بميناء كاندي بجزيرة كريت التابعة للبندقية، قرر العثمانيون القيام بعمل عسكري انتقامي ضد هؤلاء الفرسان، وحلفائهم البنادقة، فاندلعت حرب كريت التي استمرت من سنة 1645م، إلى غاية 1669م[35].

**3.أحداث ووقائع من مساهمة فرسان مالطة وفرسان القديس ستيفان في القرصنة المتوسطية**

مثلت القرصنة البحرية مرحلة هامة من مراحل الصراع بين هذين التنظيمين والقوى الإسلامية في البحر المتوسط خلال العصر الحديث، فبعدما غلب الصراع العسكري على مشهد العلاقات المتوسطية خلال القرن 10هـ/16م، فإن نهاية هذا القرن ومعظم القرن 11هـ/17م وما تلاه، شهد احتدام نشاط القرصنة بين الطرفين. لقد كان هذا التحول نتيجة تراجع زخم المواجهات العسكرية البحرية، بسبب بداية أفول وهج القوة العسكرية للعديد من

قوى التحالف المسيحي، وفي مقدمتها المملكة الإسبانية، ودخول بعض هذه القوى في معاهدات هدنة وسلم مع الدولة العثمانية وإيالاتها، ونذكر هنا مثلا معاهدة السلام بين العثمانيين والبندقية في مارس 1573م، والتي أعقبت معركة ليبانت سنة 1571م. إن تتبع مسيرة القرصنة لتنظيم فرسان مالطة، وفرسان القديس ستيفان يلاحظ تركز نشاطهما البحري في الضفة الشرقية للمتوسط، خاصة في السواحل المصرية، والشامية، وجنوب البحر الأيوني بشكل أوسع وأكبر مما هو عليه في الضفة الغربية للمتوسط. ويرجع بعض الدارسين ذلك لازدهار النشاط البحري، والحركية المطردة للسفن هناك، فهذه السواحل تعتبر ممرا لسفن الحجيج، ومعبر للسفن التجارية نحو الشرق، فضلا على أنها مركز الثقل السياسي، والعسكري العثماني، حيث يتواجد بها مقر السلطنة، وتحتوي على مراكز ومكاتب التجنيد العسكري، حيث تهفوا أفئدة الإيالات العثمانية للتزود بطاقات عسكرية جديد، كما هو حال فئة الانكشارية بهذه الإيالات. ومن أبرز الشواهد الدالة على هذا التوصيف التاريخي، أن سجل الحجر الصحي بمالطة أحصى في الفترة 1654-1674، عددا هاما من الأسرى الذين تم أسرهم في الضفة الشرقية للمتوسط، حيث قدر هذا العدد بحوالي أربعة آلاف(4000) أسير، أي بمعدل مائتي(200) أسير كل سنة. وقد مثل هذا العدد نسبة 70%من العدد الكلي للأسرى الذين مروا بمراكز الحجر الصحي[36] .

ورغم الملاحظات التي سبق ذكرها، فإن سواحل غرب المتوسط لم تسلم من مخاطر قراصنة التنظيمين، حيث كانت السواحل والسفن الطرابلسية والتونسية في مقدمة سفن الإيالات المغاربية التي عانت من هجماتهم و اعتداءاتهم مقارنة بالسواحل والسفن الجزائرية، وذلك نظرا لقرب طرابلس الغرب وتونس من مالطة، وسواحل شبه الجزيرة الإيطالية، كما أن قوة البحرية الجزائرية التي سيطرت على مجال شاسع من الحوض الغربي للمتوسط أرهب سفن التنظيمين من المبالغة في القيام بنشاط قرصنة في هذا المجال البحري، خاصة وأن العديد من سفنهم وقعت في قبضة البحار الجزائريين. ففي الفترة 1657م –1658م تمكن البحارة الجزائريون من الاستيلاء على سفينة مالطية وأسر بحرتها وركابها، منهم سبعة من فرسان مالطة ، وقد تم دفع ثلاثين ألف

ليرة لفدية ثلاثة من هؤلاء الفرسان الذين كانوا على ظهر السفينة. كما استطاع قبل ذلك عدد من رياس البحر بقيادة مراد رايس من الاستيلاء على قوادس وسفن مالطية وأسر 25من فرسان مالطة في الفترة 1608-1609م[37].

ورغم قوة بحرية الإيالات المغاربية والتي أرهبت سفن معظم القوى المعادية، فإن بحرية هذين التنظيمين لم تدخر جهدا في تحين أي فرصة، للانقضاض على السفن والسواحل الإسلامية ، ومن الاحداث التي يمكن سوقها في هذا المجال، إغارة خمس سفن مالطية على السواحل التونسية في صيف 1602، ثم قيامها بنهب مدينة الحمامات، والاستيلاء على سفينتين قبالة هذه السواحل. وفي ربيع 1606م وبتشجيع من البابا توجهت بعض سفن التنظيم نحو السواحل التونسية كذلك للانتقام من الغزاة التونسيين الذين أرهبوا البحرية المسيحية على السواحل المتوسطية، إلا أن عاصفة بحرية شتت شمل هذه الحملة. ورغم النجدات التي أرسلت من قائد التنظيم، و نائب الملك الإسباني بصقلية، فقد تمكنت البحرية التونسية من الاستيلاء على هذه السفن، وقتل عدد هام من رجالها[38]. و من جهة أخرى قام قراصنة القديس ستيفان في ماي من سنة 1681م بمهاجمة و الاستيلاء على ثلاث سفن جزائرية، وأسر واحد و تسعين من الرعايا الجزائريين الذين كانوا على متنها. وبعد ست سنوات من هذا التاريخ، أي في سنة 1687م، قام هؤلاء القراصنة بمصادرة سفينة جزائرية كانت مارة بالقرب من السواحل التوسكانية، وأسروا ركابها الأربعين[39].

**خاتمة:**

من خلال هذه الورقة البحثية يمكن لدراس العلاقات المغاربية الأوربية في الفترة الحديثة الوقوف على جملة من الاستنتاجات والنتائج في ظل تعاظم دور الكيانات الوظيفية ممثلة في تنظيمات الفرسان، وخاصة تنظيمي فرسان مالطة والقديس ستيفان، في التأثير في صيرورة وتطور هذه العلاقات، خاصة في مجال النشاط البحري عبر المتوسط، أو ما اصطلح على تسميته بالقرصنة المتوسطية. إن الرجوع إلى أدبيات نشوء هذين التنظيمين، يجعلنا نقر بأن الأهداف الأولى التي سطرت من لدن مؤسسهما بدعم من الكنيسة البابوية، والعديد من ملوك

الكيانات السياسية الأوربية، كانت ترمي لتقويض أركان الدول والقوى الإسلامية، والحيلولة دون إزهار نشاطها البحري عبر المتوسط.

إن إقرار العديد من الكتابات الغربية بالنشطات البحرية العدائية لقراصنة تنظيمات الفرسان في مواجهة البحرية الإسلامية، فيه رد على تلك التوصيفات المنبعثة من الأحكام المسبقة حيال البحرية الاسلامية عموما والبحرية المغاربية خصوصا، والتي اصطلح على تسميتها بالبحرية البربرية أو البحرية البربرسكية ، والتي وسمت بالقرصنة واللصوصية. لقد أسهم قراصنة فرسان مالطة، وفرسان دون ستيفان في اضطراب وعدم استقرار الحركية البحرية المتوسطية، إذ لم يقتصر نشاطهم القرصني على البحرية الاسلامية فحسب بل تعداه إلى العديد من القوى البحرية الأخرى، بما فيها بحرية العديد من الدول الأوربية.

دأبت كثير من الدراسات على طرح جملة من التساؤلات تتمحور حول ضبابية تحديد عدد الأسرى المسلمين في الضفة الشمالية للمتوسط، في وقت تعاظم تهويل الدراسات الغربية لحقيقة أوضاع الأسرى الأوربيين في الضفة الجنوبية للمتوسط، وهنا أصبح لزاما على المتخصصين في مجال العلاقات المتوسطية، إماطة اللثام على الوثائق المغمورة التي تزخر بها العديد من دور الأرشيف في مالطة وليفورن مثلا، وذلك من أجل إعداد دراسات أكاديمية موثقة تؤرخ لحقيقة بحرية هذه التنظيمات، وتبرز واقع الجاليات الإسلامية في الضفة الشمالية خلال هذه الفترة. إن هذه التساؤلات الحائرة لا تقتصر على موضوع الأسرى فقط، بل هناك العديد من القضايا هي محل جدل وبحث، منها مسألة البحرية التجارية المغاربية مقارنة بالبحرية الأوربية، ودور التحالفات بين الأسر والقوى التجارية في العديد من الدول الأوربية مع قراصنة تنظيمات الفرسان، للحيلولة دون بروز بحرية إسلامية نشطة في المتوسطة، يمكن أن تهدد احتكار هذه القوى للتجارة المتوسطية.

إن هذه التساؤلات وغيرها، تجعل الباحث يتساءل عن محدودية دراستنا البحثية في هذا المجال، في وقت تخصصت فيه العديد من الأبحاث الأوربية في دراسة القرصنة المتوسطية، حيث قامت بإبراز دور تنظيمات الفرسان فيها، وذلك بالاعتماد على وثائق أرشيفية هامة ، وهنا

يمكن الإشارة لكتابات كل من آلان بلوندي (Alain Blandy) صاحب الدراسة الهامة المعنونة بتنظيم فرسان مالطة في القرن الثامن عشر( L'Ordre de Malte au XVIIIe siècle) وآنا بروجيني(Anne Brogini)وكتابها الهام مالطا ،حدود المسيحية( Malte frontière de Chrétienté ) . من هنا يمكن أن تكون هذه الدراسات الموثقة حافزا لباحثينا للتشمير عن ساعد الجد لإعداد دراسات جديدة موثقة بمنطلقات حيادية تبرز حقائق الأحداث بتجرد في قضايا شائكة وجدلية ومنها القرصنة المتوسطية في العصر الحديث.

**الهوامش**

1-عمر مختار وآخرون: معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2008، مج1، ص1798.وإبراهيم أنيس و آخرون: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط4، 1425هـ/ 2004م،ص726,

2- راهب فرنسي ولد حوالي سنة 1580م، انصب اهتمامه العلمي على علم اللاهوت (La Théologie) الذي نال فيه شهادة الباكلوريا من جامعة باريس، وقد نال شهرته من خـلال اضطلاعه بمهمة افتداء الأسرى المسيحيين بالبلاد المغاربية، حيث ترأس في ماي1631م رحلة إلى هذه المنطقة على رأس تنظيمه الموسوم بتنظيم الثالوث المقدس وافتداء الأسرى ( L'ordre de saint Trinité et de la rédemption des Captifs ). توفي دان سنة 1649م.للاستيزادة أكثر ينظر

Pierre Dan : Histoire de Barbarie et de ses corsaires , Pierre Rocolet imprimeur, libraire, Paris, édition 2,1649, p(l'introduction:privilège du roi). et Pierre Dan: Les Illustres captifs ,analysé par:L. Piesse et H.D. de Grammont, Adolphe Jordan, libraire – éditeur, Alger, 1884,p1-2.

3- Pierre Dan : Histoire de Barbarie et de ses corsaires Op. cit, p9 .

4- رشاد محيي الدين الإمام :الموقع الاستراتيجي للعالم العربي وتأثيره على الملاحة العربية والدولية، بحث مقدم للندوة العلمية الخامسة عشر والتي عقدت بمقر المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب في الفترة من 23-25ديسمبر 1985م، العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض،1990،ص112.

5- عبد الرحيم مرتضى عبد الرحيم مُحَّد: أحكام القرصنة البحرية في الفقه الاسلامي دراسة مقارنة، مجلة البيان دراسات قنا،المجلد13،العدد 01 ،كلية الدراسات الاسلامية والعربية للبنين بقنا، جامعة الأزهر، مصر 1434هـ/2013،ص154.

6- بهجت عبد الله قائد: مفهوم القرصنة البحرية وشكلها، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، المملكة العربية السعودية، د.ط، 1410هـ/1990م، ص17-19. المنور مروش: دراسات عن الجزائر في العهد العثماني، القرصنة الأساطير والواقع، دار القصبة للنشر، الجزائر، ط1، 2009، ج2، ص8-10. رشاد محيي الدين الإمام: المرجع السابق، ص111.

7- الطاهر قدوري: "مسألة القرصنة" أو "الجهاد البحري" في الغرب الإسلامي محاولة لضبط الجهاز المفاهيمي، دورية كان التاريخية، المجلد 12،العدد 43، مؤسسة كان للدراسات والترجمة والنشر، مارس 2019، ص147.

8- نفسه، ص147.

9- نفسه والصفحة. وبوعزة بوضرساية: من الجهاد البحري في كتابات المؤرخ الجزائري مـــولاي بلحميسي، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، المجلد2، العدد1، مؤسسة الطباعة الشعبية للجيش جانفي2020، ص 77-78.

10- تقع هذه الكنيسة في وسط البلدة القديمة بالقدس، وبالتحديد في الجزء الشمالي الغربي منها، تحيط بها مجموعة من المباني التاريخية. ترجح بعض الدراسات أنها شيدت بأمر من الإمبراطور قسطنطين، وأمه هيلانا، ودشنها البابا أثناسيوس سنة 330م.للاستزادة أكثر ينظر: رشا عبد المنعم أحمد إبراهيم: السمات العامة لعمارة وفنون كنائس الحج بالأراضي المقدسة في العصور الوسطى(دراسة مقارنة)، مجلة العمارة والفنون والعلوم الإنسانية،المجلد6، العدد26،مارس2021،ص34-35.

11- نبيلة ابراهيم مقامي: فرق الرهبان الفرسان في يلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، مطبعة جامعة القاهرة والكتاب الجامعي، مصر، د.ط، 1994، ص5.

12- مُحَّد محمود أحمد النشار: نشأة جماعتي الرهبان الفرسان الاسبتارية والداوية في الممالك المسيحية الاسبانية والبرتغالية ودورها في الصراع الصليبي الاسلامي خلال القرن الثاني عشر الميلادي/ السادس الهجري، المجلة العلمية، العدد7، جامعة طنطا، جانفي 1994، ص45-46. و وجدي خلف الله: فرسان المعبد في مملكة أرغون ودورهم في حروب الاسترداد، المجلة التاريخية الجزائرية، المجلد7، العدد1،جامعة مُحَّد بوضياف، المسيلة،الجزائر،2023، ص166.

13- هو ثاني ملوك بيت المقدس، ينتمي إلى طائفة الفرنجة اللاتين، ولد في ريثل بفرنسا حوالي سنة 1075م من أبوين نافدين، وهما هيو الأول حاكم ريثل، وزوجته ميلزاند . تولى حكم المملكة عقب وفاة الملك بلدوين الأول في أفريل 1118م، واستمر حكمه إلى غاية وفاته في أوت 1131م، حيث دفن في كنيسة القيامة بالقدس. للاستزادة أكثر ينظر، وليام الصوري: الحروب الصليبية، ترجمة: حسن حبشي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د.ط، 1992،ج2،ص335-341.

14- نفسه، ص345-347.

15-Paul Lacroix :Vie militaire et religieuse au moyen âge et à l'époque de la renaissance, libraire de Firmin-Didot et Cie, Paris, 4eme édition , 1877,p203-204.

16- خسن عبد الوهاب حسين: تاريخ جماعة الفرسان التيوتون في الأرضي المقدسة حوالي 1190-1291م/586-690هـ، تقديم:جوزيف نسيم يوسف، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، د.ط،1989 ص81.و فتحية الفروحي: تنصير دوقية ليتونيا الكبرى سنة 1386م وانعكاساته على سمعة ومكانة تنظيم الفرسان التيوتون إقليميا ، المجلة العربية للأبحاث والدراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 13، عدد 1، جانفي 2021، ص499.

17- وجدي خلف الله: المرجع السابق، ص 167.

18-نبيلة ابراهيم مقامي: المرجع السابق، ص9. و

19- Paul Lacroix : Op.cit, p181.182

-20

21- مقامي: المرجع السابق،ص29.

22-عماد الدين مُحَمَّد بن أحمد الأصفهاني: الفتح القسي في الفتح القدسي، المطبعة الخيرية، مصر، د.ط، 1322هـ،ص24.

23-عمر مُحَمَّد الباروني: الأسبان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس، مطبعة ماجي، طرابلس، د.ط، 1952،ص76-78.

24- صالح عباد: الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830،دار هومة، الجزائر، د.ط، 2012،ص58.و

Michel Fontenay :Corsaires de la foi ou rentiers du sol ? les chevaliers de Malte dans la « corso » Méditerranéen au XVIIe siècle, revue d'histoire moderne et contemporaine,tome35, N°3,1988,p364-367.

25- Moulay Belhamissi: Marine et Marins d'Alger (1518-1830),tome1, bibliothèque nationale d'Alger , Alger,1996,p39.
26-Riguccio Galluzzi : Histoire du grand duché de Toscane sous le gouvernement des Médicis, tome3, 1782,p 69-70.
27-Anne Brogini :Malte frontière de Chrétienté (1530-1670),bibliothèque des écoles françaises d'Athènes et de Rome ,2005,p 94.
28-Michel Fontenay :Op.cit, ,p377.
29- Anne Brogini: A l'aube d'une économie marchande le rôle de la course à Malte au XVIIe siècle, revue d'histoire maritime, N°17, Faculté des lettres, université de Sorbonne, Paris,2013,p38.
30- Moulay Belhamissi : Course et contre course en Méditerranée ou comment les algériens tombaient en esclavage(XVIe-1er tiers du XIX siècle, cahiers de Méditerranée , centre de la Méditerranée moderne et contemporaine, N°65,2002,p2 .
31- Jean Mathiex : Trafic et prix de Lhomme en Méditerranée aux XVIIe et XVIIIe siècles, Annale économies- sociétés- civilisations, 9eme année, N°2,libraire Armond Colin, 1954, p160.
32- عائشة غطاس: العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن السابع عشر(1619-1694) ، رسلة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، إشراف: مولاي بالحميسي، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 1984-1985،ص137.
33-Jean Mathiex :Sur la marine marchande barbaresque au XVIIIe siècle Annale économies- sociétés - civilisations, 13eme année, N°1, libraire Armond Colin, 1958, p89.
34- امحمد سعيد الطويل: البحرية الليبية الطرابلسية في عهد يوسف القرمانلي، المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، ليبيا، ط3، 2012م، ص51.
35-P.Daru : Histoire de la république de Venise, Firmin Didot, père et fils libraires, Paris, 3eme édition,1826, tome VI, p44.
36-Anne Brogini: A l'aube d'une économie marchande le rôle de la course à Malte au XVIIe siècle, Op.cit, p4.
37- المنور مروش: المرجع السابق، ص260،331.
38- Anne Brogini :Malte frontière de Chrétienté, Op.cit, p

39- إبراهيم سعيود: الأسرى المغاربة في "إيطاليا" خلال العهد العثماني، أطروحة دكتوره في التاريخ الحديث، إشراف عائشة غطاس، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر2 السنة الجامعية 1430-1431هـ/ 2009-2010م، ص154.